الرد على الشبه المثارة على حديث: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده)

المبحث الأول: دراسة سند الحديث، والشبهات حول الإسناد:

المطلب الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

المطلب الثالث: حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

المبحث الثالث: دراسة متن الحديث، والرد على الشبهات:

المطلب الأول: دراسة ألفاظ الحديث، والمقارنة بينها.

المطلب الثاني: شبهة هلاك كسرى، وتحققه.

المطلب الثالث: شبهة هلاك قيصر، وتأخره.

المطلب الرابع: عودة كسرى وقيصر بعد هلاكهم.

المبحث الأول: دراسة سند الحديث، والشبهات حول الإسناد:

المطلب الأول: حديث أبي هريرة ¢.

أولاً: نص الحديث

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

ثانياً: تخريج الحديث.

هذا الحديث يروى عن أبي هريرة ﷺ من عدة طرق، منها طريق الأعرج، وسعيد بن المسيب، وهمام بن منبه، وغيرهم.

فأما طريق الأعرج فأخرجها البخاري(١) -واللفظ له-، والإمام أحمد(٢)، من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ به.

وأما طريق سعيد بن المسيب، فأخرجها البخاري(٣)، ومسلم(٤)، والترمذي(٥) ومعمر(٦)، والحميدي(٧)، والإمام أحمد(٨)، والطحاوي(٩)، وابن حبان(١٠)، والطبراني(١١)، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ به.

---

(١) الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ"أحلت لكم الغنائم"، صحيح البخاري (٤/ ٨٥ رقم: ٣١٢٠).

(٢) مسند أحمد (١٦/ ٣٠٠ رقم: ١٠٥٠٢).

(٣) الصحيح كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺصحيح البخاري (٨/ ١٢٩ رقم: ٦٦٣٠)، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٣ رقم: ٣٦١٨).

(٤) الصحيح، كتاب الفتن، وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت (٤/ ٢٢٣٦ رقم: ٢٩١٨).

(٥) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٩٧ رقم: ٢٢١٦).

(٦) جامع معمر بن راشد (١١/ ٣٨٨ رقم: ٢٠٨١٤).

(٧) مسند الحميدي (٢/ ٢٥٨ رقم: ١١٢٥).

(٨) مسند أحمد (١٢/ ١٠٨ رقم: ٧١٨٤)، (١٢/ ٢٠٩ رقم: ٧٢٦٨)، (١٣/ ١٠٧ رقم: ٧٦٧٨).

(٩) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٤ رقم: ٥٠٩).

(١٠) صحيح ابن حبان (١٥/ ٨٣ رقم: ٦٦٨٩).

(١١) مسند الشاميين للطبراني (٤/ ١٦٥ رقم: ٣٠٠٩).

ولفظ مسلم: «**قد مات كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

وأما طريق همام بن منبه فأخرجها: البخاري[1]، ومسلم[2]، ومعمر[3]، من طريق همام عن أبي هريرة ﵁.

ولفظ همام: «**هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

---

(١) الصحيح كتاب الجهاد باب الحرب خدعة صحيح البخاري (٤/ ٦٣ رقم: ٣٠٢٧).

(٢) الصحيح كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت (٤/ ٢٢٣٧ رقم: ٢٩١٨)

(٣) جامع معمر بن راشد (١١/ ٣٨٨ رقم: ٢٠٨١٥).

المطلب الثاني: حديث جابر بن سمرة ¢.

أولاً: نص الحديث

عن جابر بن سمرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

ثانياً: تخريج الحديث.

الحديث مداره على عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ﵁.

ويرويه عن عبد الملك كلا من: جرير، وسفيان الثوري، أبو عوانة، وشيبان، وعبيد الله بن عمرو، ورقبة بن مصقلة، وأبو بكر بن عياش.

فأما **طريق جرير**، فأخرجها البخاري[1] -واللفظ له-، ومسلم[2] من طريق إسحاق، عن جرير، عن عبد الملك عن جابر بن سمرة ﵁ به.

وأما **طريق سفيان** فأخرجها، البخاري[3]، وابن حبان[4]، والطبراني[5]، من طريق سفيان، عن عبد الملك بن جرير عن جابر ﵁ به.

وأما طريق **أبي عوانة**، فأخرجها، البخاري[6] ، والإمام أحمد[7]، والطبراني[8]، وأبو نعيم[9]،عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ﵁ به.

وأما **طريق شيبان** فأخرجها، الإمام أحمد[1]، والطبراني[2]، من طريق عبد الملك بن بن عمير عن جابر بن سمرة ﵁ به.

---

(١) الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ "أحلت لكم الغنائم"،(٤/ ٨٥ رقم: ٣١٢١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن، وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت (٤/ ٢٢٣٧ رقم: ٢٩١٩).

(٣) الصحيح كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٣ رقم: ٣٦١٩).

(٤) صحيح ابن حبان (١٥/ ٨٥ رقم: ٦٦٩٠).

(٥) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٢١٣ رقم: ١٨٧٠).

(٦) الصحيح كتاب الأيمان والنذور باب كيف كان يمين النبي ﷺ (٨/ ١٢٩ رقم: ٦٦٢٩).

(٧) مسند أحمد (٣٤/ ٤٤٤ رقم: ٢٠٨٧١)، (٣٤/ ٤٧٧ رقم: ٢٠٩٤٠)،

(٨) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٢١٣ رقم: ١٨٧١).

(٩) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان (١/ ٢٢٨)، و معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٥٤٥).

وأما **طريق عبيدالله بن عمرو**، فأخرجها الطحاوي[3]، من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رضي الله عنه به.

وأما **طريق رقبة بن مصقلة**، فأخرجها الطبراني[4]،[5]، من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رضي الله عنه به.

وأما طريق **أبي بكر بن عياش** فأخرجها، الطبراني[6]، وأبو نعيم[7]، والرامهرمزي[8]، والطحاوي[9]، من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

وعبد الملك بن عمير من رواة الصحيحين قال عنه ابن حجر :" ثقة فصيح عالم تغير حفظه وربما دلس"[10]، وقد ثبت سماعه من جابر بن سمره.

---

(١) مسند (٣٤/ ٥١٤ رقم: ٢١٠١٢)

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٢١٣ رقم: ١٨٧٤).

(٣) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥ رقم: ٥١١).

(٤) المعجم الأوسط (٢/ ٢٣٠ رقم: ١٨٢٩)، المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٢١٣ رقم: ١٨٧٣).

(٥) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥ رقم: ٥١١).

(٦) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٢١٣ رقم: ١٨٧٢).

(٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٠٩).

(٨) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (ص: ٣٤٠).

(٩) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥ رقم: ٥١١).

(١٠) تقريب التهذيب (ص: ٣٦٤ رقم: ٤٢٠٠).

المطلب الثالث: حديث أبي سعيد ﷺ.

أولاً: نص الحديث.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

ثانياً: تخريج الحديث.

أخرجه الطبراني(١)، وأبو نعيم(٢)، من طريق منجاب بن الحارث، عن عبد الله بن الأجلح، عن أبان بن تغلب، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ به.

الحديث بهذا الإسناد: "حسن" لعطية العوفي، صدوق يخطئ ربما دلس(٣).

وبهذا يتبين صحة هذا الحديث، وأنه روي بأسانيد صحيحة، وفي أصح الكتب، مع كونه روي في غير الصحيحين، ومن طرق متعددة، وأن احتمال الخطأ على أحد رواته غير وارد، ذلك لأنه روي بأكثر من طريق، وعن أكثر من صحابي مع تطابق في اللفظ، وعدم اضطراب أو اختلاف فيه، فلا مجال إذا للتشكيك في صحة الحديث وثبوته.

---

(١) المعجم الأوسط (٥/ ١٠٣ رقم: ٤٧٩٨)، المعجم الصغير للطبراني (٢/ ١١ ، ٦٨٩).

(٢) تاريخ أصبهان (٢/ ٤٧).

(٣) تقريب التهذيب (ص: ٣٩٣ رقم: ٤٦١٦).

المبحث الثالث: دراسة متن الحديث، والرد على الشبهات:

المطلب الأول: دراسة ألفاظ الحديث، والمقارنة بينها، مع نص الشبهة.

قوله "**هلك**": الهلاك هو الخراب والدمار والموت، والجمع هالكون وهلكى، والتَّهْلُكَةُ: كلُّ شيءٍ يصيرُ عاقبتُه إلى الهَلاكِ، ويقال "الهَلَك": بالتحريك الشيء الذي يهوي، ويسقط، وتأتي هلك بمعنى الكفر والضلال، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال:٤٢].(١)

وهذا هو الذي دلت عليه ألفاظ الحديث، فهلاك كسرى قد تحقق بموت كسرى وزوال ملكه، ثم هلاك قيصر الروم، بزوال ملكه أولاً عن الشام، ثم زوال ملك القياصرة بعد ذلك نهائياً.

"**كِسرى**": بكسر الكاف، وَالْجمع أكاسِرَةُ وكَساسِرةٌ وكُسُور على غير قِيَاس، والنَّسَب إِلَيْهِ كِسْريُّ وكِسْرَوِيُّ، وهو لقب ملوك الفرس، كما أن لقب ملوك الروم قيصر، ولقب ملوك مصر "فرعون"، وملوك اليمن "تُبَّع"(٢).

"قيصر": لقب يقال لملوك الروم(٣)، قال ابن كثير: "وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية وفرعون لمن ملك مصر كافرا، وبطليموس لمن ملك الهند"(٤)، ويفهم منه أن من لم يملك بلاد الروم والشام فلا يسمى قيصر.

---

(١) العين، للفراهيدي (٣/ ٣٧٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٦١٧)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٩٠٨)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٩٠٨)،

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٧٨٥)، مقاييس اللغة (٥/ ١٨١)، المخصص (١/ ٣٢٤)،

(٣) مختار الصحاح (ص: ٢٥٤)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٢٧٥)،

(٤) البداية والنهاية ط هجر (٦/ ٤٩١).

"**كنوزهما**": (كنز) الكاف والنون والزاء أصل صحيح يدل على تجمع في شيء، من ذلك ناقة كناز اللحم، أي مجتمعة، والكنز: اسم للمال الذي يُكنز ويدفن تحت الأرض، ولما يحرز به المال، واكتنز الشئ: اجتمع وامتلا(١) .

وقد وردت لفظة "هلك" بعدة صيغ منها: "هلك" و "يهلك"، و"قد هلك" ولعلّ النبي ﷺ أخبر أصحابه بخبر كسرى وقيصر في أكثر من موضع، فمرّة بلفظ إذا هلك كسرى، أو يهلك كسرى، وذلك حيث لم يكن قد هلك بعد. ثم بلفظ هلك بعد أن بلغه خبر هلاكه وسؤاله عمن ولي بعده، فهذا وجه الجمع بين ثلاث العبارات إذا هلك، ويهلك، وهلك. وذكر بعضهم أن الإخبار بلفظ المضيّ لعله لتحقق الوقوع في القابل كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [سورة النحل:١].

قال القرطبي: "جاء في الرواية الأخيرة الإخبار عن موت كسرى، لأنها للماضي، وأكد بقدر التحقيق «**قد مات كسرى**» بينما في الروايتين السابقتين «**إذا هلك كسرى**» وهي للمستقبل ويجمع بين ذلك بأمور:

أ- أن يكون أبو هريرة رضي الله عنه سمع الحديث من النبي ﷺ مرتين، فسمع أولاً " إذا هلك كسرى " وبعده " قد هلك كسرى " فيكون النبي ﷺ قال الحديث الأول قبل موت كسرى، لأنه علم أنه يموت ويهلك، ويكون النبي ﷺ أيضاً قد قال الحديث الثاني بعد موته.

ب- ويحتمل أن يفرق بين الموت والهلاك، فيقال: إن موت كسرى كان قد وقع في حياة النبي ﷺ، فأخبر عنه بذلك، وأما هلاك ملكه، فلم يقع إلا بعد موت النبي ﷺ وموت أبي بكر رضي الله عنه، وإنما هلك ملكه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يدي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وغيره من الأمراء الذين ولّاهم عمر رضي الله عنه حرب فارس"(٢)

ت- قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون المراد بقوله : «**هلك كسرى**» تحقق وقوع ذلك، حتى عبَّر عنه بلفظ الماضي، وإن كان لم يقع بعد، للمبالغة في ذلك، كما قال تعالى : ﴿أَتَىٰٓ

---

(١) العين (٥/ ٣٢٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ٨٩٣)، مقاييس اللغة (٥/ ١٤١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٣/ ٩٨).

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة النحل:١]. وهذا الجمع أولى، لأن مخرج الروايتين متحد، فحمله على التعدد على خلاف الأصل، فلا يصار إليه مع إمكان هذا الجمع، وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقَعَ لا محالة؛ لأنهما لم تبقَ مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النبي - ﷺ - كما قررته"(١)

وهذا ما يؤكد وقوع ما أخبر به النبي ﷺ فقد عبر عن كسرى بالهلاك المتعجل، وهذا الذي حصل بالنسبة لملكه الذي تداعى وهلك بعد النبي ﷺ بفترة وجيزة، مع أن أسباب وعوامل هلاكه كانت قد بدأت في زمن النبي ﷺ، وذلك بدخول الخلاف بين أفراد الحكم، وصراعهم على الملك، حتى أنه قتل من ملوكهم في زمن النبي ﷺ، أربعة عشر ملكاً، وتولت الأمر بعد ذلك امرأة.

ما يؤيد ذلك بشكل جلي أن قول النبي ﷺ «**والذي نفسي بيده لتنفقن أموالهم في سبيل الله**» في نهاية الحديث، وابتداء الحديث بقوله «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده**»، أن نقلة الحديث قد ضبطوه أتم الضبط، ولا يمكن أن يتوارد مثل هذا الجمع من الصحابة، على ألفاظ واحده.

وهذا ما يدحض شبهة كون الصحابة ﵃ لم يضبطوا الحديث، فكيف يقال أنهم لم يضبطوه وقد رواه أكثر من اثنان، واتفقوا على لفظه، ثم ألا يمكن لو حصل خطأ من أحدهم أن يراجعه الآخر، أو بقية الصحابة ﵃ وهذا ما لم يحدث.

الأمر العجب أن هذه الفتوح تحققت في عصر كبار الصحابة، بل في زمن خلافة الراشدة، وذلك بتفاوت زمن هلاك إحدى المملكتين، فلم يحصل منهم أن استشكلوا هذا القول عن النبي ﷺ، مع علمنا بشدة عمر ﵁ عنه في والتحري والتثبت من الرواية عن النبي ﷺ، ونقل الاخبار.

فأنا يحصل لمجموع الصحابة ﵃ الوهم والغلط، ولا يمكن لهم أن يضبطوا نصاً عن النبي ﷺ من سطر ونصف، وهم الذين هيأهم الله ﷻ لحفظ الدين، ثم يحصل لهم الوهم في ما هو أقل من ذلك بكثير، ذلك والله هو العمى والضلال الذي ران على قلوب كثير ممن

(١) فتح الباري: ابن حجر (٦/ ٦٢٦).

استهوته الشبهات، وطغى عليه الحقد، وأعماه الهوى.

نص الشبهة:

قال عدنان ابراهيم في خطبة بعنوان : "مشكلتي مع البخاري": " حديث آخر تتعارض معه الوقائع التاريخية، وقد أخرجه الشيخان. قال عليه الصلاة وأفضل السلام: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"، والحديث مخرج في الصحيحين. الجزء الأول من النبوءة صحيح بلا امتراء لأنه في نهاوند وقعت بلاد فارس في سلطة المسلمين، وبعد نهاوند قُتل يزدجرد الثالث، وكان آخر كسرى، وصدق رسول الله ولم يأت كسرى بعده، وانتهت أسرة آل ساسان إلى الأبد. ولكن ماذا عن قيصر؟ هلك قيصر المعاصر للنبي وجاء قيصر، وتعرفون كم قيصر جاء بعده تسعة وستون قيصراً في ثمانمائة سنة. إذن هناك نوع من الغلط على رسول الله.. يبدو أن الحديث له أصلاً ولذلك في حديث آخر نجد النبي يقول: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، ولكن الروم ذات القرون"، هذا صحيح كلما هلك قرن أتى قرن، والنبي يمكن أن يقول هذا لأنه صحيح.

أحدهم يقول لي من أين أنطلق؟ أنا أقول لك.. الخطأ من الرواة.. الخطأ والوهم والاشتباه.. لا يمكن أن نتهم رواة الصحيحين بالكذب على رسول الله أبداً.. إنما هناك خطأ، وهناك أوهام الصحابة وقعوا فيها. الصحابة كانوا يهامون ويوهلون ويُغفلون ويغفلون كسائر البشر، فمن باب أولى من بعدهم تماماً"(١)

---

(١) خطبة مشكلتي مع البخاري بعد ١:٠٦:٤٠ ساعة وست دقائق وأربعين ثانية.

المطلب الثاني: هلاك كسرى.

حَكَمَ الأرضَ قبلَ مبعثِ النبي ﷺ وفي حياته مملكتان من أكبر ممالك الأرض، كانت إحداهما فارس والتي حكمت العراق وما وراء النهر ونواحيهما، وكانت الروم تحكم الشام وبيزنطة وغيرها من بلاد النصارى.

وفارس يطلق على من سكن منطقة فارس(١)، وإليه النسبة بـ: "فارسي"، ونشأت دولة فارس قبل الميلاد بما يقارب خمسة قرون، وكانت ديانتهم الرسمية "الزرادشتية"، وتنسب لـ: "زرادشت"، الذي قيل إنه ادعى النبوة، وقد اختلف العلماء في المجوس، هل هم من أهل الكتاب، فذهب الجمهور على أنهم ليسوا من أهل الكتاب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [سورة الحج:١٧]، وغيرها من الآيات الدالة على أنهم ليسوا من أهل الكتاب، وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم من أهل الكتاب لكنهم بدلوا وحرفوا، واستدلوا بما ورد أن النبي ﷺ قال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»(٢)، كما استدلوا بأخذ عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما الجزية منهم، واستدلوا بغير ذلك من الأدلة التي رد عليها الجمهور(٣).

وبعد بعثة النبي ﷺ أرسل إلى ملكهم كسرى برسالة يدعوه إلى الاسلام، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه " فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى،

---

(١) تقع حالياً في دولة إيران في "غرب آسيا" وكانت قديماً تحتل مكاناً جغرافياً مهماً كونها تقع بين دول آسيا ودول شرق المتوسط، كما أنها تقع على طريق الحرير ،جغرافيه العالم الاسلامي، محمد خميس الزوكا(٣٤٦/٣٤٧).

(٢) سنن أبي داود (٣/ ١٦٨ رقم: ٣٠٤٣)، سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٤٦رقم: ١٥٨٦)، وصححه الالباني.

(٣) ينظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/ ٨٣)، الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٣٦)،

فلما قرأه مزقه، فحسبت أن ابن المسيب، قال: «**فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق**»(١).

وقد تحققت نبوة النبي ﷺ بتمزيق وتفكيك ملكهم، وذهابه كلياً.

أما الإجابة على الإشكال الوارد على هلاك الأكاسرة فبعدة أمور:

أولا: ذكر العلماء -رحمهم الله- أن من أهم أسباب ذهاب ملكهم **بالكلية** وتعجيل ذلك قبل ملك قيصر؛ تمزيقهم لكتاب النبي ﷺ عندما أرسله إليهم، فدعا عليهم النبي ﷺ بأن يمزق ملكهم، وقد مر الحديث آنفاً.

ثانياً: من الإشكالات التي طرحت تعجيل هلاك الأكاسرة، وقد نقل الإمام الطحاوي عن الإمام الشافعي الجواب على ذلك فقال: "فتأملنا هذا الحديث لنقف على المعنى المراد به ما هو فوجدنا المزني قد حكى لنا عن الشافعي في تأويله قال: كانت قريش تنتاب الشام انتيابا كثيرا، وكان كثر معاشهم منه وتأتي العراق فلما دخلت في الإسلام ذكرت ذلك للنبي عليه السلام خوفا من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق وفارقت الكفرة ودخلت في الإسلام مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام فقال: " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده " فلم يكن بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده وقال: " إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده "، فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده فأجابهم النبي عليه السلام على ما قالوا فكان كما كان إلى اليوم وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس وقيصر ومن قام بعده بالشام وقال في قيصر: ثبت ملكه ببلاد الروم وينحى ملكه عن الشام، وكل هذا متفق يصدق بعضه بعضا.(٢) اهـ

وقد ذكر أبو جعفر الطحاوي جواب آخر عن هذا الاشكال فقال: "وسألت أحمد بن أبي عمران عن تأويل هذا الحديث فأجابني بخلاف هذا القول –يقصد قول الشافعي– وذكر أن معنى قوله عليه السلام: " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده "، قال فهلك كسرى كما أعلمنا أنه سيهلك فلم يكن بعده كسرى، ولا يكون بعده كسرى إلى يوم القيامة وكان

---

(١) صحيح البخاري، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، صحيح البخاري (٤/ ٤٥ رقم: ٢٩٣٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥).

معنى قوله: " إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده " إعلاما منه إياهم أنه سيهلك ولم يهلك إلى الآن، ولكنه هالك قبل يوم القيامة وخولف بينه وبين كسرى في تعجيل هلاك كسرى وتأخير هلاك قيصر لاختلاف ما كان منهما عند ورود كتاب رسول الله ﷺ على كل واحد منهما. قال لنا ابن أبي عمران وروي في ذلك عن رسول الله ﷺ"(١).

ولا خلاف بين القولين، فقد تحقق ما ذكره الإمام الشافعي وما ذكره أحمد بن أبي عمران، من زوال ملكهم عن أرض العراق والشام ابتداء، ثم زواله نهائياً وإلى الابد، لكن على تفاوت في تحقق ذلك.

وهذا ما اتفق عليه العلماء رحمهم في تفسير هذا الحديث، ونُقل ذلك عن أبي حاتم الرازي(٢) وغيره.

ومع ما تقدم فإننا لو تتبعنا سيرة الأكاسرة، وموقفهم من النبي ﷺ لوجدنا أنها كانت أشد صلابة، وأكثر عناداً، وأكثر تكبراً، من دعوة الحق التي بعث بها النبي ﷺ، فقد بلغ بملكهم كسرى من الوقاحة والكبر أن أرسل إلى حاكمه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين عندك جلدين، فليأتياني به، فاختار باذان رجلين ممن عنده، وبعثهما بكتابٍ إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معه إلى كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي ﷺ قال أحدهما: إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثني إليك لتنطلق معي، وقال قولا تهديدياً، فأمرهما النبي ﷺ أن يلاقياه غدا.

وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وعلم رسول الله ﷺ الخبر من الوحي، فلما غدوا عليه أخبرهما بذلك: فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر، أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك. قال: نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى! وينتهي إلى منتهى الخف والحافر. وقولا له:

---

(١) شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥).

(٢) صحيح ابن حبان – مخرجا (١٥/ ٨٤).

إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

وكان ذلك سببا في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن، وهذا ما عجل بزوال ملكهم، بخلاف موقف قيصر الروم، والذي كان موقفه ليناً وكاد أن يسلم لولا خشيتهِ من قومه كما يأتي.

وبعد: فكما أخبر الصادق المصدوق ﷺ عن هلاك كسرى وأنه لا كسرى بعده، فقد ذهب ملك فارس ولم يعد البتة وإلى الأبد، وما يفعله المشغّبون على حديث النبي ﷺ ما هو إلا محض هوى، وحقد على الإسلام ونبي الاسلام، وكتاب الاسلام الذي يقول : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ [سورة النجم:٣].

بل إن الله قد استجاب لدعاء نبيه ﷺ، ومزق ملك كسرى شر ممزق، وانظر إلى الحال التي وصلت إليها تلك المملكة:

فبعد تمزيق كتاب النبي ﷺ، بدأت نهاية ملكه، ومزقت شر ممزق، وإليك عرض سريع لذلك التمزق:

فمع تقدم الجيوش الرومية وهزيمة الفرس، هرب كسرى، إلى مدينةٍ بالقرب من بغداد واختبأ، فقام الوزراء والقادة بتحرير ابنه من السجن بعد أن سجنه على خلاف بينهما، وجعلوه ملكاً، وأول شيء قام به الابن إلقاء القبض على أبيه، وحبسه ومنعه من الأكل والشرب، ثم أخرَجَه من السجن وقتله شر قتلة.

كان هذا الموت خلال مدة وجيزة من تمزيقه للرسالة، هزيمة على يد الروم، ثم الهرب والاختباء، ثم السجن والقتل على يد ولده!! فما أسرع العقوبة، وصدق الصادق المصدوق ﷺ، ومن هنا يتبين لنا أن اعتراض المعترضين على أحاديث سيد المرسلين، ما هو إلا ضرب

من الجنون، أو مبعثه حقد الحاقدين، وسيعرفون مغبة ما اقترفوه يوم الدين، إن لم يتداركوا أنفسهم ويتوبوا لأرحم الراحمين.

لكن يبقى السؤال: هل انتهى التمزيق إلى هذا الحد؟؟

لا ... فالملك بعده واسمه "قباذ"، طلب الصلح من الروم، وتنازل لهم عن جميع الاراضي الرومية، وغيرها بذلة وهوان.

ثم قام بقتل إخوانه جميعاً، وعددهم "ثمانية عشر"، حتى لا يصفوا له كرسي الحكم، ولا ينازعه أحد.

ثم يتواصل مشهد التمزيق لهذه الدولة الظالمة المتكبرة، فخلال أشهر مات "قباذ".

فمن بداية تمزيق الرسالة، وقتل كسرى وقتل أبناءه على يد كبيرهم، وموت هذا الابن .. كل هذا حصل في فترة سنة واحدة فقط .. مابين (٦٢٨ و ٦٢٩).

ولم يكن لذلك الملك إلا ابن عمره سبع سنوات، نصبوه ملكاً، وقتل بعدها بسنة ونصف، على يد شهربراز، والذي كان من كبار قادة الدولة، فصار ملكاً، ولم يكن من أسرة الملكْ.

لكنه بعد سنة واحدة فقط تم قتله في الإيوان، وتنصيب ابنة كسرى "براند" ملكة، ثم قتلت بعد سنة واحدة من توليها الملك.

ثم تولت ابنة كسرى الثانية (أزمريدخت)، العرش بعد اختها، وللخروج من حالة الفوضى, اقترح عليها أحد القادة واسمه: "فروخ" اقترح عليها أن تتزوجه، لكنها رفضت وقامت بقتله، فجاء ابن ذلك الجنرال: "رستم" –الذي هزم في القادسية– وحاصر المدائن بجيشه وقبض على الملكة، وقام بفقوء عينيها، ثم قتلها، كل ذلك حصل خلال أشهر من توليها الملك، وتولى الملك بعدها "هرمز"، وهو ليس من أسرة الملك.

كل ذلك خلال خمس سنوات من تمزيق الرسالة وموت كسرى.

ثم تولى الملك بعده حفيد لكسرى اسمه "قباذ"، وقام بقتل إخوانه، ثم نصب بعده "يزدجرد"، وكان ما يزال مراهقاً، وجعل على الجيش رستم، وفيروز.

وكان توليه هذا الملك لما بدأت جيوش الفتح تطرق أبواب العراق، فطلبوا الخلاص في هذا الرجل.

ثم جاء الفتح الاسلامي، وانتهت دولة فارس إلى غير رجعة، وذلك بمقتل ملكهم "يزدجرد" بمرو، في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.(١)

مدة يسيرة بين تمزيق كتاب النبي ﷺ وبين قتل ذلك الملك ثم تمزيق ملكه، بقتل الملوك، والأطفال، والأخوان، والنساء.

فهل بعد ذلك من ممزق، وأي شيء أشد من هذا التمزق الذي أنهى دولة من أكبر دول التأريخ في سنيين معدودة.

وإنما أوردنا هذا المختصر عن ذلك التمزق حتى يتبين لكل ذي عقل مدى تحقق قول النبي ﷺ وأنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة النجم:٣].

فأي علم تدعيه يا من تُكّذِبُ بحديث النبي ﷺ، والتأريخ ووقائعه شاهدة عليه.

أي بحث تدعيه، وأنت لا تعلم بوقائع بدهية لا تخفى على من لديه أدنى علم، تؤيد حديث النبي ﷺ.

أي إنصاف وتَحرّي ودقة تزعمها، وأنت تدلس وتخفي من الحقائق ما يبرهن صدق ما ورد عن النبي ﷺ.

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ (٢/ ٢٨٤)، البداية والنهاية (٩/ ٦٠٠) ومواضع متفرقة من تاريخ الطبري(٤/ ٢٩٣).

المطلب الثالث: هلاك قيصر ملك الروم.

أما الشق الأخر من الحديث فإنه يتكلم على هلاك مملكة الروم، و التي كانت أعظم إحدى المملكتين على وجه الأرض، تأسّست روما سنة (٧٥٣) قبل الميلاد وتأسست معها الدولة الرومانية وظلت روما كرسي تلك الدولة عشرة قرون ونصف قرن، ففي سنة (٣٢١م) نقل كرسي الملك إلى بيزانتيوم وانتقل إليها قسطنطين الكبير وسماها القسطنطينية وهو اسمها إلى اليوم. وبعد وفاته سنة (٣٣٧م) اقتسم المملكة أولاده الثلاثة ثم أفضت إلى واحد منهم توفي سنة (٣٦٠م) فخلفه يوليان ثم جوفيان سنة (٣٦٤م) ثم توفي هذا بعد بضعة أشهر فانتخب الرومان إمبراطوراً اسمه فالنتيان، وبعد قليل نصب فالنتيان أخاه فالنس إمبراطوراً على روما، وتم انفصال المملكة الرومانية على أثر ذلك إلى مملكتين إحداهما شرقية عاصمتها القسطنطينية والأخرى غربية عاصمتها روما، وكانت الأولى أسعدهما حظاً، إذ استمرت، وكانت أكثر عمراً، وأطول زمناً.

وقد بُعث النبي ﷺ وملكهم يقال له هرقل، والشام وبيت المقدس بيدهم، فأرسل رسول الله ﷺ، بكتابٍ الى قيصر يدعوه إلى الإسلام، ففي الحديث الطويل عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه : "ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرئ، فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين** : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤].»(١) .

وبسبب إكرامه لكتاب رسول الله ﷺ، كان ذلك سبباً لثبات ملكه لفترة من الزمن.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الاسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أربابا من دون الله صحيح البخاري (٤/ ٤٥ رقم: ٢٩٤١).

أما شبهة القائلين بعدم تحقق ما ورد في الحديث، ذلك أن قيصر لم يهلك كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ، فدل ذلك على أن الحديث فيه وهم أو غلط أو أن الحديث مكذوب.

والحقيقة الواضحة أنهم لا يقصدون هذا الحديث بذاته فقط، بل لهم أهداف أخرى سنبينها بعد مناقشة هذه الشبهة.

والرد على هذه الشبهة من عدة أوجه:

أولاً: العلم بسبب ورود الحديث يبين المعنى المراد.

إن مما ابتليت به الأمة أن ظهر من يتكلم في أمور دينها من لا خلاق له، ومن لا يعرف بالعلم، فأصبح يتكلم في أمور المسلمين، ويحل ويحرم، وبلغت بهم الجرأة أن تطاولوا على مسلمات الدين، وذلك دال وبما لا يدع مجال للشك على ما أخبر به الرسول ﷺ ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**» ، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه في أمر العامة**»(١).

فاصبح يخوض في هذا العلم من لا خلاق له، وإلا لو نظرنا إلى هذا الحديث وماذا قال العلماء الربانيين فيه لما أشكل علينا منه شيء، هذا مع فرض وجود الإشكال.

فقد ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله من أكثر من وجه قوله: "وقد يقال: ليظهرن الله دينه على الأديان حتى لا يدان الله إلا به، وذلك متى شاء الله قال: وكانت قريش تنتاب الشام انتيابا كثيرا، وكان كثير من معاشها منه، وتأتي العراق، فيقال: لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم خوفها من انقطاع معاشها من الشام، والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام مع خلاف ملك الشام، والعراق لأهل الإسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده»، فلم يكن بأرض العراق كسرى ثبت له أمر بعده، وقال: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده»، فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده،

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٩ رقم: ٤٠٣٦)، مسند أحمد ط الرسالة (١٣/ ٢٩١ رقم: ٧٩١٢)، وصححه الألباني.

وأجابهم على ما قالوا له، وكان كما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقطع الله الأكاسرة عن العراق، وفارس، وقيصر ومن قام بعده بالأمر بعده عن الشام"(١).

وهذا بيان من الإمام الشافعي رحمه الله لسبب ورود الحديث، وأن قريشاً كانت تخشى على نفسها من الروم وفارس إن هي فارقت الكفر، فغالب عمل قريش في التجارة، والتي كانت تأتي بها من الشام والعراق في رحلة الصيف.

قال المباركفوري: " معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرا وإما جهرا فانجلى عنها قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعده"(٢).

يقول ابن الجوزي: "وهذا الحديث يشكل على من سمع أن كسرى لما قتل ملك ولده ثم ملك بعده جماعة، وكذلك قيصر، والذي يزيل الإشكال أن كسرى وقيصر كانا في ملك ثابت، فلما زالا تزلزل ملكهما وما زال إلى انمحاق وانقراض وما خلفهما مثلهما، وهذا كما يقال للمريض: هذا ميت، والمعنى أنه قريب من الموت وأن أحواله تحمله إليه.

فإن قال قائل: قدروا صحة هذا في كسرى، فكيف بقيصر ومملكة الروم إلى اليوم باقية؟ فقد أجاب عن هذا أبو الوفاء بن عقيل فقال: كانت العرب بين هذين الملكين كالكرة يلعبان بهم، ويحملون إليهما الهدايا، فلما جاء الإسلام صارت كلمة العرب العليا، فلا كسرى ولا قيصر من حيث المعنى، إنما هو اسم فارغ من المعنى"(٣)

ثم إن النبي ﷺ قد ذكر الحديث في أكثر من موقف كما مر معنا في مبحث سابق، ولذلك فإن جمع الروايات ومعرفة سبب ورود الحديث، وقراءة الاحداث التأريخية بإنصاف كفيل بإزالة ذلك اللبس الحاصل عند البعض إن كان لبساً حقيقياً، ولم يكن طعناً متعمداً.

---

(١) ينظر: الأم للشافعي (٤/ ١٨٠)، شرح مشكل الآثار (١/ ٤٤٥)، معرفة السنن والآثار (١٣/ ٣٥١ رقم: ١٨٤٥٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٨٤).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٤٩).

ثانياً: أن ملكهم قد زال ولو تأخر زواله.

ملك كسرى قد ذهب بالكلية، ولم تقم لهم قائمة، أما ما يتعلق بملك قيصر فإنه تأخر عن الزوال بالكلية حتى جاء محمد الفاتح وفتح القسطنطينية فزال ملكهم بسقوطها، ولم يعين النبي ﷺ زمن هلاك كسرى أو قيصر، أو يربطه بملك معين، لأن كسرى يطلق على كل من تملك فارس كما مر معنا، وقيصر يطلق على كل من ملك الروم، وذلك ما حصل بالنسبة لكلا المملكتين، لا كما يدعيه مثيري الشبهات.

ثم إن مملكة قيصر استمرت بعد عصر الامام الشافعي ثم زالت، وهنا لفتة جميلة: أنظر إلى إيمان السلف الصالح بكل ما صح عن النبي ﷺ، فهذا الأمام الشافعي رحمه الله، يسلم تسليما كاملاً مع توجيهه لكلام النبي ﷺ بعلم وبصيرة، ولذلك قال ان ملك قيصر انحصر في بلاد الإفرنجة، وهذا ما انتهى إليه علمه، ولقد صدق، ثم تعاقبت العصور، وتحقق ما أخبر به النبي ﷺ من زوال ملك قيصر.

رابعاً: السبب في تأخر زوال ملك القياصرة.

لعل سائل يسأل ما سبب تأخر زوال ملك القياصرة كل هذه المدة، وقد ذكر العلماء أن ذلك كان بإكرامهم لرسالة النبي ﷺ، قال الإمام الشافعي: " قال: النبي ﷺ في كسرى «**يمزق ملكه**» فلم يبق للأكاسرة ملك، وقال: في قيصر «**يثبت ملكه**» فثبت له ملك ببلاد الروم إلى اليوم وتنحى ملكه عن الشام وكل هذا أمر يصدق بعضه بعضا"(١).

خامساً: الإستدلال بالحديث الضعيف ورد الحديث الصحيح "ذات القرون":

استدل المدعو"عدنان ابراهيم" بحديث: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، ولكن الروم ذات القرون**»، وعارض به حديث الصحيحين، لكن لم أجد الحديث بهذا اللفظ في كتب السنة، والشي العجب أن شخصاً لا يستطيع ضبط حديث واحدٍ، بل ويهم فيه ويدخل حديثاً في حديث آخر، يأتي ويتكلم على أئمة هذا الشأن وحفاظه، ويوهمهم ويقدح فيهم.

---

(١) الأم للشافعي (٤/ ١٨١).

أما الحديث الذي في كتب السنة والذي عارض به أحاديث الصحيحين أو أنه مناقض له، حديث ابن محيريز، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر كلما ذهب قرن خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**».

والحديث أخرجه ابن أبي شيبة(١)، ونعيم بن حماد(٢)، والحارث المحاسبي(٣)، من طريق يحيى بن أبي عمر الشيباني، عن ابن محيريز مرسلاً.

وابن محيريز تابعي ثقة(٤) ، ولم تثبت له صحبه، فيكون حديثه مرسلاً، وعلى هذا يكون الحديث ضعيف.

وانظر إلى العجب العجاب من اصحاب الجهل المركب، معارضتهم لحديث من أصح الأحاديث عن النبي ﷺ، والذي روي في الصحاح والسنن والمسانيد، بأصح الاسانيد، وعن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم، وصدقتها ووافقتها الوقائع التأريخية، بحديث مرسل ضعيف لم يرد إلا من طريق واحد!!!

هذه هي المنهجية التي يعتمدها أولئك للطعن في الحديث، رد الحديث الصحيح الثابت، ومعارضته بحديث ضعيف.

ثم ألا يجدر بصاحب هذا الطعن أن يكلف نفسة عناء البحث لمعرفة الحديث الضعيف من الصحيح، ومدى ثبوته عن النبي ﷺ قبل معارضته للثابت الصحيح بالضعيف.

---

(١) المصنف: (٤/ ٢٠٦ رقم: ١٩٣٤)،

(٢) الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٤٧٩ رقم: ١٣٤٦).

(٣) مسند الحارث (٢/ ٧١٣ رقم: ٧٠٢).

(٤) عبد الله ابن محيريز بمهملة وراء آخره زاي مصغر ابن جنادة ابن وهب الجمحي بضم الجيم وفتح الميم بعدها مهملة المكي كان يتيما في حجر أبي محذورة بمكة ثم نزل بيت المقدس ثقة عابد من الثالثة، تقريب التهذيب (ص: ٣٢٢ رقم: ٣٦٠٤).

ثامناً: إنفاق كنوزهما في سبيل الله:

قال النبي ﷺ في الحديث: «**ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، فإن كنوز كسرى وقيصر قد جلبت إلى مدينة الحبيب ﷺ، في زمن الخلفاء الراشدين، وأنفقت في سبيل الله.

كل ذلك مصدق لما ورد عن النبي ﷺ بذهاب ملكهم، وهلاكهم.

وفي هذا لفتة جميلة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وعمر هو الذي أنفق كنوزهما، وهذا الحديث الصحيح مما يدل على صحة خلافته، وأنه كان ينفق هذين الكنزين في سبيل الله، الذي هو طاعته وطاعة رسوله، وما يقرب إلى الله، لم ينفق الأموال في أهواء النفوس المباحة، فضلا عن المحرمة"(١).

سابعاً: رمي التهم بلا بينة ولا دليل.

مما لوحظ على كلام الرجل أنه يلقي بالكلام على عواهنه، من غير دليل ولا تثبت، وهو الذي يدعي أنه لا يتكلم في مسألة حتى يقتلها بحثاً، ولا يأتي بأمر إلا بدليل، فأين هذه الدعوى من تطبيقك لها، تأتي بكلام مرسل وتزعم ضعف الحديث ووقوع الخطأ والوهم فيه بلا بينة ولا دليل

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد! تورد الإبل(٢)

أيكون الشك والظن دليلاً قاطعاً لإثبات ضعف حديث من أصح ما روي عن النبي ﷺ، أيكون التهريج والسفسطة إثباتاً على أمور أثبتها النقل وشهد لها الحس.

ومن منهج الرجل أنه متناقض تناقضاً شديداً، ففي أول الحديث يقول: "صحيح (بلا امتراء)، لأنه في نهاوند انتهت مملكة كسرى، وقتل بعدها يزدجرد آخر ملوك كسرى"، ومعركة نهاوند كانت في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم قتل يزدجرد في عهد عثمان رضي الله عنه، هذه الوقائع بالنسبة لعدنان ابراهيم دالة بلا امتراء على صحة الحديث، لكن لأن قيصر لم يمت في عهد

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٧٢).

(٢) المثل لـ: مَالِك بن زيد مَنَاة بن تَمِيم، و يُضْرب مثلا لإدراك الْحَاجة بِلَا تَعب وَلَا مشقة يَعْنِي أَنه أورد إبله شَرِيعَة المَاء فَشَرِبت واشتمل هُوَ بكسائه ونام وَلم يوردها بِئْرا فَيحْتَاج إِلَى الاستقاء لَهَا، جمهرة الأمثال (١/ ٩٣).

النبي ﷺ واستمر ملكه بعد موت النبي ﷺ فهذا دليل على الخطأ والوهم في الحديث، إذا لماذا تطبق هذا الفهم على ما وقع لكسرى إذ أنه لم يهلك في زمن النبي ﷺ، ولم تهلك مملكته إلا بعده بسنين.

ولذلك يتضح أن الرجل صاحب مقصد سيء، ولا هم له إلا إثارة الشبه والإشكالات على السنة النبوية.

المطلب الرابع: عودة كسرى وقيصر بعد هلاكهم.

من الإشكالات التي تثار، أنه قامت بعض الدويلات لهذه الدول بعد هلاكها، وهذه الدول جاءت على فترات متفاوته.

والجواب: أننا لو تأملنا ألفاظ الحديث وفهمت فهماً صحيحاً بما يدل عليه السياق، لدلنا ذلك على إزالة اللبس.

ذلك أن النبي ﷺ قال «**إذا هلك كسرى...وإذا هلك قيصر..**»، أما ما يتعلق بكسرى فقد هلك إلى غير رجعة، ولم يذكر التأريخ قيام دولة للفرس بعد ذهابها على يد الفتح الاسلامي، أما ما ظهر من بعض حركات التمرد، فلم تكن دولة، بل كانت حركات تمرد متخفية في الجبال والشعاب سرعان ما تم القضاء عليها.

أما الشق الآخر من الحديث، هلاك ملك القياصرة، وقد تقدم آنفاً أن ملكهم تأخر في الهلاك لإكرامهم كتاب رسول الله ﷺ، وقد جاء هلاكهم متأخراً.

والإشكال المتوجه هنا أنه بعد هلاك قيصر قامت دول للروم حملت راية النصرانية، وهذا ما يشكل على قوله: «**فلا قيصر بعده**».

والحق أن الحديث لا يدل على وجود هذا الاشكال، فبالنظر في ألفاظ الحديث ودلالاته يزول هذا اللبس، فالنبي ﷺ ربط الهلاك بدولة القياصرة، وهذا ما حصل بالضبط، فإنه وبعد فتح القسطنطينية عام "سبعة وخمسين وثمانمائة"(١) والتي هي معقل القياصرة ومملكة الروم، لم تقم لهم بعد ذلك دولة مثلها، ولم يطلق على ملك من ملوكهم بالقيصر إلى يومنا هذا.

---

(١) محمد الفاتح: **للرشيدي** (١٣٠ - ١٣٦).

الخلاصة:

بعد العرض للشبهات التي قيلت على الحديث، وبيان أنها متهافتة يمكن تلخيص ذلك في الآتي:

١- كون الحديث لا يؤيد النتيجة التي يريدها الطاعن "عدنان ابراهيم"، وهي التشكيك في صحة الاحاديث الواردة في صحيح البخاري، بل هذا الدليل منقلب عليه من أوجه كثيرة منها:

- أن البخاري رحمه الله لم يتفرد بهذا الحديث، بل رواه أصحاب الصحاح، والسنن، والمسانيد، وورد في كتب التأريخ والسير والمغازي، ويفهم من هذا أن الرجل يطعن في عموم السنة النبوية، وإنما جعل ذلك ذريعة ومدخلاً.
- الأمر الأخر أنه ورد بالتواتر المعنوي والحسي، ونقلت الأمة جيلاً بعد جيل بما يستحيل دخول الشك فيه أن مُلك كسرى قد زال وانتهى وهلك وذلك في زمن الخلافة الراشدة، أما ملك الروم فقد زال عن أرض الشام نهائياً، وانتقل ملكهم الى القسطنطينية، إلى أن زال على يد الفاتح محمد، والذي كذلك بشر به النبي ﷺ، فزال إلى يومنا هذا، وكل هذا دليل على صدق نبوة النبي ﷺ وأنه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ٣﴾ [سورة النجم:٣]، ولذلك فهذا الدليل منقلب على من طعن في الصحيحين أو احدهما، شاهد على صحتهما.
- قوله ﷺ «**لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**» قد تحقق ذلك بما لا مجال للشك فيه، بل أيدت ذلك أحاديث كثيرة تصل إلى حد التواتر عن النبي ﷺ في النبوة بفتح فارس والروم، وانفاق كنوزهما في سبيل الله، فأي مجال بعد ذلك للشك أو الارتياب.

٢- الحديث دال على نبوة النبي ﷺ وأنه مؤيد بالوحي، وذلك بإخباره بوقوع هذه الاحداث قبل أن تحصل ثم حصلت.

٣- تحقق ما أخبر به النبي ﷺ ولو بعد حين يؤكد أن طعن الطاعنين إنما هو بسبب فساد في قلوبهم تجاه الاسلام، وأن ما قصرت عن فهمه العقول، فالعيب ليس في النصوص، بل في عقول تلك الفاهمة بصورة خاطئة.

٤- طعنهم في صحة الحديث مع تحقق ما أخبر به يحتمل أحد أمرين:

١-أن من طعن جاهل بالتأريخ، لا يعرف مجريات التي حصلت في تأريخ المسلمين، وهذا حري به ألا يتكلم في مسائل الشرع، فضلاً من أن يتكلم في أحاديث المصطفى ﷺ.

٢-أو أنه يعرف ما حصل، وهذا حال من هو حاقد معاند للحق وهو واضح أمامه أبلج، فمثل هذا لا ينفع معه الدليل والبرهان ولو كان ساطعاً مثل الشمس.

ومن هنا نصل إلى أن هذا الحديث فيه رد على كل مشكك في سنة النبي ﷺ، قائلاً له: هذا هو مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق، قد شهد به التأريخ، وصدقته الوقائع، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة النجم:٣].